رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

# تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 44- سورة التوبة | من الأية 511 إلى 711

عبدالرحمن العجلان

---

السلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم - 00:00:00

ان الله له ملك السماوات والارض وما لكم من دون الله من ولي ان الله له ملك السماوات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير - 00:00:22

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم جل وعلا ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي - 00:00:36

من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه. ان ابراهيم لاواه حليم - 00:01:03

ثم قال جل وعلا ها هنا وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون لما نهى الله جل وعلا رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين - 00:01:24

عن الاستغفار للمشركين خشي بعض الصحابة ان يؤاخذهم الله استغفارهم السابق لاقربائهم من المشركين لما علموا ان ذلك لا يرضي الله خشوا ان يؤاخذهم الله في استغفارهم السابق وخافوا على انفسهم - 00:01:47

فانزل الله جل وعلا وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون فانزل الله جل وعلا ما ازال ما في نفوسهم من الخوف بالمؤاخذة عما سبق - 00:02:21

من استغفارهم للمشركين وان الله جل وعلا لا يؤاخذ عباده حتى يأمرهم وينهاهم ويبين لهم فاذا بين لهم وعصوا الامر او فعلوا المنهي حينئذ يؤاخذهم جل وعلا وقيل في سبب نزول الاية - 00:02:50

ان جماعة من الاعراب امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه الى المدينة وكان عليه الصلاة والسلام يستقبل بيت المقدس وقبل تحريم الخمر فذهبوا لاوطانهم ثم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد مدة - 00:03:28

وقالوا يا رسول الله انت على دين ونحن على خلافة لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يستقبل الكعبة وقد حرمت الخمر قالوا يا رسول الله انت على دين ونحن على خلافه. اذا نحن على ظلال - 00:04:03

وعملنا باطل ومؤاخذون بعدم على ضوء ما تفعل فانزل الله جل وعلا وما كان الله ليظل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وعلى غرار هذا حينما حرم الله جل وعلا الخمر - 00:04:29

تحريما قاطع في قوله جل وعلا يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والاذنام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر - 00:05:08

ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون قال عمر رضي الله عنه بعد ذلك انتهينا انتهينا هذا تحريم قاطع قال بعض الصحابة لبعض اخواننا الذين مروا وماتوا ماتوا وفي بطونهم الخمر والخمر محرمة قد شربوها - 00:05:36

ولم يتوبوا منها فخشوا عليهم لن يؤاخذوا بشربهم الخمر ولم يتوبوا منها وقد ماتوا قبل ان تحرم فانزل الله جل وعلا ليس على الذين

امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا - 00:06:10
ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين الله جل وعلا من لطفه بعباده ورحمته بهم وعدله لا يؤاخذ عباده على فعل ما لا يجوز شرعا قبل ان يبلغهم النهي ولا يؤاخذهم على ترك فعل ما امروا به - 00:06:40
قبل ان يبلغهم الامر يقول جل وعلا وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم والله جل وعلا هدى عباده الصراط المستقيم ووفقهم للايمان فامنوا به وبرسوله صلى الله عليه وسلم - 00:07:17
فاذا فعلوا شيئا لا يجوز قبل ان يبلغهم النهي الله جل وعلا لا يؤاخذهم بذلك وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم الضلال هنا صرفهم عن الصراط المستقيم ومؤاخذتهم - 00:07:52
على ما صدر منهم بعد اذ هداهم للايمان والاسلام حتى يبين لهم يبين لهم ما يأتون وما يذرون فاذا بين لهم ذلك بين لهم ما يجب ان يفعلوه وبين لهم ما يجب ان يجتنبوه ويحذروه - 00:08:23
ثم تعالوا المنهي عنه وتركوا المأمور به في هذه الحال يؤاخذهم الله جل وعلا اما ان يؤاخذهم على تحريم شيء لم يبلغهم فمن رحمته جل وعلا بعباده الا يؤاخذ على ذلك - 00:08:54
حتى يبين لهم ما يتقون يبين لهم يكون سببا لتقواهم بفعل المأمور به وترك المنهي عنه ان الله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية جل وعلا فهو يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور - 00:09:26
يعلم من عبادة انهم فعلوا ما فعلوا لا معاندة ولا ردا للامر ولكن ظنا ان هذا جائز لان كثيرا من الاوامر الشرعية والنواهي لا تعلم الا عن طريق الوحي لا تعلم الا عن طريق الوحي - 00:10:04
المرء قد يستحسن بعقله قبل النهي شرعا انه يحسن منه ان يدعو لاقربائه وان ماتوا على الكفر لان الله جل وعلا قادر على كل شيء قادر ان يغفر لهم ولا احد - 00:10:40
يرد ما اراده الله جل وعلا وشاءه فمن حيث العقل قد يستحسن دعوة المرء لاقربائه وان ماتوا على الكفر لكن لما جاء الامر الشرعي بمنع ذلك وتركه عرف ان هذا لا يجوز شرعا - 00:11:09
وما لا يجوز شرعا لا يؤاخذ الله جل وعلا على مخالفته حتى يبينه لعباده فهو جل وعلا عليم باحوال عباده عليم لمن طوت عليه نفوسهم وضمائرهم عليم بمن هو حريص - 00:11:45
على كل ما فيه طاعة لله جل وعلا وما فيه معصية لله جل وعلا فيجتنبه او يتساهل في ذلك فهو جل وعلا عالم باحوال عباده ان الله بكل شيء عليم - 00:12:17
شيء نكرة الصغيرة والكبير القليل والكثير الظاهر والخفي لا تخفى عليه جل وعلا خافية ان الله له ملك السماوات والارض فهو جل وعلا المالك في السماوات والارض وما فيهن والمتصرف جل وعلا في الكون وحده - 00:12:46
يحيي ويميت يحيي من شاء من عباده على الايمان ويميته على ذلك ويحيي من شاء من عباده على الكفر والضلال بدون ان يكون منه ظلم جل وعلا لعباده ويميته على ذلك - 00:13:27
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ختم هذه الاية الكريمة بان المرء لا ولي له ولا ناصر له سوى الله جل وعلا بعد ذكر الاية الناهية عن دعوة - 00:13:58
المؤمن لاقربائه من المشركين فكن ايها المؤمن مواليا لله ولمن والى الله جل وعلا وكن معاديا لمن عادى الله وان كان من اقرب اقربائك فوض الامر الى الله جل وعلا - 00:14:30
ورجع اليه في جميع شؤونك واطلب منه النصر والتأييد ولا تطلب ذلك من غيره كائنا من كان والله جل وعلا اذا شاء نصر عبده نصره وان كان لا معين له في الدنيا - 00:15:05
واذا شاء خذلان عبده خذله وان كانت الدنيا كلها معه وما لكم من دون الله من ولي يتولى اموركم ولا نصير ينصركم من دونه جل وعلا فهو جل وعلا المتولي لامور عباده - 00:15:28

وهو الناصر من اراد نصره اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم. ان الله له ملك السماوات والارض. يحيي ويميت وما لكم من - 00:15:52

من دون الله من ولي ولا نصير قال العماد ابن كثير رحمه الله يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة وحكمه العادل انه لا يضل قوما الا بعد ابلاغ الرسالة اليهم - 00:16:25

حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى. فاما ثمود فهديناهم الاية وقال مجاهد في قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم الاية. قال بيان بيان - 00:16:43

الله عز وجل للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وفي بيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فافعلوا اوذروا. وقال ابن جرير يقول الله تعالى وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم - 00:17:03

لموتاكم المشركين بالضلال بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله حتى يتقدم اليكم بالنهي عنه فتتركوا فاما قبل ان يبين لكم كراهة ذلك بالنهي عنه فلم تضيعوا الى ما نهاكم عنه فانه لا يحكم عليكم بالضلال. فان الطاعة والمعصية انما يكونان في - 00:17:23

والمنهي واما من لم يؤمن ولم ينهى فغير كائن مطيعا ولا عاصيا فيما فلم يؤمر به ولم ينه عنه وقوله تعالى ان الله له ملك السماوات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من - 00:17:55

ولا نصير. قال ابن جرير هذا تحريض من الله تعالى لعباده المؤمنين. في قتال المشركين وملوك الكفر وانهم وانهم يثقوا بنصر الله ما لك السماوات والارض ولا يرهبوا من اعدائه - 00:18:18

فانه لا ولي لهم من دون الله ولا نصير لهم سواه. وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي ابن ابي دلامة البغدادي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان ابن محرز عن حكيم - 00:18:38

عن حكيم بن حزام قال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ما  قالوا ما نسمع من شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاسمع اطيط السماء وما تلام وانت ابط - 00:18:57

وما فيها من موضع شبر الا وعليه ملك ساجد او قائم. وقال كعب الاحبار ما من موضع حرمة ابرة فمن الارض الا وملك موكل بها يرفع علم ذلك الى الله. وان ملائكة السماء لاكثر من - 00:19:18

عدد التراب وان حملة العرش ما بين كعب احدهم الى مخه مسيرة مئة عام لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ - 00:19:38

فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم لقد تاب الله على النبي بمعنى تجاوز وعافى وصفح وغفر واللام هنا تعبر عنها العلماء بانها موطئة القسم مشعرة بقسم  وقد هنا للتحقيق - 00:19:59

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار المهاجرون هم الذين هجروا اوطانهم مرارا بدينهم ايمانا بالله ورسوله والانصار هم الذين ناصروا المهاجرين ناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين - 00:20:37

وهم اهل الدار والمراد بالمهاجرين من قدم من مكة الى المدينة مهاجرا والانصار هم اهل المدينة الذي الذين امنوا بالله ورسوله الذين اتبعوه خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم اتبعوها الظمير يعود الى - 00:21:03

النبي عليه الصلاة والسلام الذين اتبعوه في ساعة العسرة ساعة يعني وقت العسرة وغزوة العسرة والخروج وقت المشقة وليس المراد بالساعة الساعة الزمنية يعني الزمن اليسير وانما المراد في وقت العسرة وزمن العسرة - 00:21:29

والمراد بساعة العسرة هنا خروجهم لغزو الروم غزوة تبوك وكانت الغزوة تسمى غزوة العسرة والجيش جيش العسرة وذلك لما للصحابة رضوان الله عليهم من شدة المؤونة وما اصابهم من المشقة العظيمة في هذه الغزوة - 00:21:58

فقد كان العشرة يعتقدون البعير بينهم يركب المرء قليلا ثم ينزل ويمشي ويركب الثاني ثم ينزل ويركب الثالث ثم ينزل ويركب الرابع وهكذا عشرة يعتقدون بعيرا واحدا وورد ان التمرة - 00:22:34

يمصها الواحد منهم اذا عطش وجاع يمص التمرة فاذا جاءه شيء من طعمها اعطاها صاحبه ثم يعطيها الثاني للثالث ثم الثالث للرابع وهكذا حتى يصلون الى النواة داخلها ولا يأكلون شيئا وانما يمصونها - 00:23:03

قليلا من اجل ان يشربوا عليها الماء وكان الواحد منهم يصيبه العطش الشديد. لا يجد ماء يشربه فينحر بعيره ويمس الفرس الذي في الكرشة فيه رطوبة يمسه يعصره عصرا من اجل ان يشرب ما فيه - 00:23:32

وما بقي يضعه على كبده ليلطف عليه الحرارة ويخففها عنه ينحر بعيره ليشرب ما في روثه من الماء لما في فرسه والفرث هو ما في الكرشة فاصابهم جهد شديد ومع ذلك - 00:24:03

صبروا وساروا مع النبي صلى الله عليه وسلم طاعة لله ولرسوله من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم هذا بمعنى قارب واوشك والزيق والانحراف على الصراط المستقيم وقد يكون المراد ما حدثت به - 00:24:35

نفس بعضهم بان يتأخروا ولكنهم لم يفعلوا ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم كرر التوبة الاية في قوله لقد تاب الله على النبي ثم قال بعد ذلك ثم تاب عليهم ليتوبوا - 00:25:15

وما هو هذا الذي حصل منهم هل حصل من النبي صلى الله عليه وسلم شيء يستدعي ان يتوب الله عليه وهل حصل شيء من المؤمنين يستدعي ذلك قال بعضهم الذي حصل من النبي صلى الله عليه وسلم ليس بذنب - 00:25:47

ولا معصية وانما هو خلاف الاولى وما هو هذا الذي هو خلاف الاولى وحينما استأذن المنافقون في البقاء في المدينة اذن لبعض من استأذن منهم عليه الصلاة والسلام فاذنه صلى الله عليه وسلم - 00:26:16

لمن استأذن خلاف الاولى كما قال الله جل وعلا عفا الله عنك ما اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين وقال بعضهم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين - 00:26:51

تشريفا وتكريما لهم والا فلم يحصل من النبي صلى الله عليه وسلم ما يستدعي ان يتوب الله جل وعلا عليه عن هذا الفعل ما حصل منه فعل يستدعي ذلك وانما ذكره الله جل وعلا - 00:27:22

في صدر الاية تشريفا وتكريما للمؤمنين وتلطفا بهم واظهارا لفضلهم كما قال الله جل وعلا واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول فذكر الله جل وعلا كما تقدم لنا - 00:27:47

هنا تشريفا وتكريما للمذكورين بعد لان الله جل وعلا يقاسمهم ذلك ويشاركهم فيه تعالى الله تشريفا لهم بان له شيء من هذا الخمس وتقدم لنا اخواني المفسرين في ذلك رحمهم الله - 00:28:17

وهنا قال بعضهم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تشريفا للمؤمنين وتلطفا بهم بان حالهم حال النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار تاب الله عليهم عم وقع في نفوس بعضهم - 00:28:51

من عدم الرغبة بالخروج في هذه الحال الشديدة لان الخروج كان في وقت الحر الشديد والنفقة قليلة والظهر قليل المركوب والعدو كثير والمسافة بعيدة ما وقع في نفوس بعظهم ان تمنوا عدم الخروج - 00:29:26

فتاب الله عليهم لذلك ومن لطفه جل وعلا بعبادة ان ذكر توبته عليهم قبل ان يذكر عن ماذا تاب عليهم الذي حصل منهم ثم كرره مرة اخرى تأكيدا وافهاما بالتوبة عليهم - 00:30:06

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ان يتوب الله عليهم من اجله من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق - 00:30:51

منهم ثم تاب عليهم انه جل وعلا بهم بعباده المؤمنين رؤوف رحيم فهو جل وعلا ارأفوا بعبادة من الوالدة بولدها وقوله جل وعلا من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم - 00:31:13

في كلمة يزيغ قراءتان سبعيتان يزيغ وتزيغ بالتاء والياء وفي قراءة لابن مسعود رضي الله عنه من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم وكاد بمعنى اوشك وقرب واين اسمها ضمير الشان محذوف - 00:31:42

وخبرها جملة يزيغ قلوب فريق منهم والعامل في قلوب الرافع لها هي فاعل اين فعلها يزيغ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم

تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم - 00:32:28
انه ان واسمها رؤوف خبرها ورحيم خبر ثاني ومعنى فريق يعني جماعة منهم وليس المراد جميع من خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد الذي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة كثير - 00:33:01
وهم كما رؤي سبعون الفا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم. انه بهم رؤوف رحيم. قال - 00:33:41
عماد ابن كثير رحمه الله قال مجاهد وغير واحد نزلت هذه الاية في غزوة تبوك وذلك انهم خرجوا اليها في شدة من الامر في سنة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد والماء. قال قتادة خرجوا الى - 00:34:11
الشامي عامة بوكن في لهبان الحر على ما الحر يعني شدة الحر. نعم على ما يعلم على ما يعلم الله من الجهد اصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا ان - 00:34:31
رجلين كانا يشقان التمرة بينهما. وكان النفر يتداولون التمرة بينهم. يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم واغفلهم من غزوتهم. وقال ابن جرير - 00:34:48
يونس ابن عبد الاعلى اخبرنا ابن وهب اخبرني عمرو ابن ابن الحارث عن سعيد ابن ابي هلال عن عتبة ابن ابي عتبة عن نافع ابن جبير عن مطعم عن عبد الله ابن عباس انه قيل لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه في شأن - 00:35:08
فقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فاصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى ان كان الرجل حتى ان كان الرجل - 00:35:30
ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع. وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيشربه ويجعل ما بقي على كبده. فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله ان الله - 00:35:50
عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادعوا لنا فقال تحب ذلك؟ قال نعم فرفع يديه ثم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فاهطلت ثم سكنت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر - 00:36:10
لم نجدها جاوزت العسكر. يعني كان المطر عليهم فقط وحدهم على مكانهم فقط ارتووا وشربوا وقال ابن جرير في قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة. اي - 00:36:30
من النفقة والظهر والزاد والماء من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم اي عن الحق ويشك في دين الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتاب للذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم ثم تاب عليهم - 00:36:51
يقول ثم رزقهم الانابة الى ربهم والرجوع الى الثبات على دينه انه بهم رؤوف رحيم - 00:37:11